

كُنْ من صُنْدَاعِ الأمل



« قيل لي يوماً : هل الأمل يُصنَع؟! وهل هناك حاذقونَ في صناعته؟! وهل رأيتم مَن يُعلِّم هذا الفن في عصرنا؟! وهل للأمل صورٌ رائعةٌ، وملامحٌ، وسماتٌ مُتميِّزة؟! »

للأمل صُنْدَاع حاذقون، يُدخلون البهجة علينا، وهو فنٌ بحدِّ ذاته، وصوره ذاتُ ألوانٍ بديعةٍ، تُسرِّبُ العيونَ، وتُخلبُ العقولَ، وتُبهرُ الأبصارَ.

قال وليد الأعظمي:

كُنْ رابط الجأش وارفع رايةَ الأملِ وسِرْ إلى اِ في جدِّ بلا هزل

الألم يصنع الأمل، بل يتجلى ذلك في أبهى صورةٍ فنيّةٍ في حياة كلِّ فردٍ منّا.

الأمل المُمتزجُ بالألم، الأمل الذي لا يتطرَّقُ إليه اليأسُ أو القنوط.. فالذي يعيش الألم يدرك في

أعماقه الأمل الذي سوف يظهر نوره.

أعللُ النفس بالآمالِ أرقبها ما أضيّق العيشَ لولا فُسحة الأمل

أملٌ صحبهُ عملٌ.

إذ الأمل هو استشراقُ المستقبلِ للوصول إلى الغاية والبيغة التي تُحقِّق مُراد العبد وتطلُّعاته، وهذا لا بدُّ له من الأخذ بالأسباب المطلوبة لتتربّسَ عليها النتائج المرجوّة، ولا يتم هذا بخيالاتٍ طائفة، بل يحتاج إلى جُهدٍ ناصبٍ، وعملٍ صالحٍ متواصلٍ، ومُراقبةٍ ومتابعةٍ.

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا) (الكهف/ 110)، هذا العملُ الصالح النافع في الدنيا والآخرة، وادِّخِرْ ذلك للأمل الأكبر: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) (الكهف/ 46)، بل تتجلّى أروعُ صورهِ فيما رواه أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: "إن قامت الساعة، وببدا أحدكم فسيلةً، فإن استطاعَ أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها".

وهذه هي البوصلة الموصلة.. أمّا الكُفّالون القاعدون الآملون، فلا حظّ لهم ولا نصيب إلا الهلاك والضياع.

لذلك قيل: الأمل نافع مادام يبعثُ الثقة، ويضادُّ اليأس، ويشيرُ إلى دربِ الوصول؛ ولكنه يصبحُ مُهلكاً متى استحال إلى أحلامٍ مغرِبةٍ.

وقال علال الفاسي:

وعندي آمالٌ أريد بلوغها تضيع إذا لاعت دهرى وتذهب

وهاهو نبيُّ الله ﷺ (ع) يلتجئ إلى ربِّه بالدُّعاء ليكشف عنه الضُّرَّ، لأنَّ الأمل لم يفارقه لحظةً، فإذا البلاء شفاء: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُهُ أَنْ رَبِّي مَسَّنِي الضُّرُّ وَأَنَا زَلَّاتُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَالَمِينَ) (الأنبياء/

أم كان يخطر على بالِ يُونس (ع) وهو في بطن الحوت، أن يُنادي وهو في الظلمات، ليست ظلمةً واحدة، لولا أمله أن يُنجاه ربه؛ (وَدَا النُّونَ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لا إِلَهَ إِلا أَنَا سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ) (الأنبياء/ 87-88).

وما أروع هذا التعقيب الذي يشمل كلَّ المؤمنين إلى يوم الدين: (وَكَذَلِكَ نُذَجِّي الْمُؤْمِنِينَ) (الأنبياء/ 88) ليبقى الأمل مصورا أمام أنظارهم، فلا يقنطون!!

أم هل يُتصور من شيخٍ بلاغٍ من الكيدِ عتيا، واشتعل رأسه شيباً، ووهنَ عظمه، وامرأته عاقرة، زكريا (ع) أن يتصرَّع إلى ربه ليهبَ له غُلماً زكياً لولا أنَّهُ واثقٌ من تحقيق ضراعتِه؟!

هؤلاء وأمثالهم مناراتُ الأمل للإنسانية جمعاء.

هذا فنُّ صناعة الأمل الفذِّ الفريدِ، يصيبُ منه مَنْ وَفَّقَهُ □ فَهَيَّا على طريق الأمل نسير ونحن واثقون. ►

المصدر: كتاب صناعة الأمل